

## أحمد جدي : المؤرخ - الأديب. أو سيرة ترحال.

علي اللطيف

المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية  
جامعة منوبة

أحمد جدي هذا النابع من دشرة حيدرة الحدودية بأقصى الوسط الغربي التونسي، والتي مثلت قفًا تونس العميقة تاريخًا ومجالًا؛ حيث ولد يوم 10 جوان 1951. تناغم متناقض بين السفح والجبل ومفارقة عميقة بين عظمة الماضي وتهميش الراهن. وُريَ التراب يوم 21 جويلية 2012 بمقبرة الجلاز بتونس العاصمة، وجُءَ البلاد. تناظر سحري بين موقعي الميلاد والرحيل، تربط بينهما مسيرة حياة كادحة ومتراوحة بين الترحال والاستقرار. تشبث بالجذور وتطلع إلى اللامنتهى.

اخترق أحمد جدي بمسيرته الدراسية تاريخ تأسيس النظام التربوي لعهد الاستقلال وكذلك المجال الجغرافي للبلاد؛ فمن حيدرة حيث زاول تعلمه الابتدائي (1958-1965) في أول دفعة للمدرسة التونسية بعد إصلاحات محمود المسعدي؛ إلى القصرين التي تبعد عن مسقط رأسه حوالي 60 كيلومترا لينفصل عن عائلته منذ نعومة أظفاره وينحت ذاته في مجال أرحب خلال المرحلة الأولى من التعليم الثانوي (1965-1968) ترافقه نصائح أمه "... عليك بالحلم ولا تنس الذين ماتوا من أجل أن تلد وأوصيك خيرا بقلبك وبقيلتك... الأيام الآتية عاتية وحرارتها مرتفعة وهواءها فيه وعليه... خذ زائدك وزويدك واحذر الضحك والألغاز والمقايضة والكلام الصامت والنوم الخفيف، والأكل

العادي... لا تحتكم للقشور وللذين لا خير يرجى منهم... أنت قادم على أوجاع البعاد والمنفى في زمن الخفافيش والكلاب المسعولة والمساحيق الوهمية والسعادة الزائفة... انج بقلبك إلى قلبك ولا تنصت لغيرهما... عهدتك شهما مثل والدك وأصيلا كجنتك الواصلة وحساسا كالياسمين... كن أنت في كل الأحوال... لا تشتغل بالنساسة والفياشة والهبابة والبنزاسة وكل الذين ليست لهم أصول الحياة والكرامة والحرية." (1)

ثم إلى معهد المنصورة بالقيروان على بعد 150 كلم من حيدرة، ليتنامى وعيه بهوم بلده ووطنه وتولد لديه محنة الكتابة الأدبية ذات المنزع الواقعي التجريبي أو أدب الطليعة، الذي انتعش بالبلاد التونسية خلال سبعينات القرن العشرين وتزعمه خاصة عز الدين المدني في مجال القص والمسرح والطاهر الهمامي وصالح القرمادي في المجال الشعري بحثا عن نوع من الخصوصيات والاستقلال الثقافي عن الهيمنة الغربية ذلك أن الطليعة التونسية الشابة مؤمنة بواقعها الذي تعيشه، معالجة للقضايا التي تهيم عليها، باحثة عن حلها عن طريق الآداب والفنون، جاعلة نصب أعينها تجديد الدماء السارية في عروق البلاد في ثقافتها وفكرها ومفاهيمها ومصيرها وتراثها وتاريخها. فنوعية القضايا المطروحة في أوروبا وفي تونس هي التي تميز بين الطليعتين. فكتاب أوروبا الغربية لا يهتمون إلا بقضايا الاستهلاك وما يتبعها من مشكلات حضارية وفكرية غربية وكتابنا في تونس ما بعد الاستقلال لا يهتمون إلا بالقضايا التي تحارب التخلف من جهل وفقير ومرض، وبالمشكلات الناجمة عن هذه الأوضاع الفاسدة. وزيادة على ذلك فإن الطليعة التونسية لا تريد للحاق بركب الطليعة الغربية فلديها من الوعي التاريخي والاجتماعي والحضاري مما يدفعها إلى تعبيد طرق فكرية أخرى غير الطرق الأوروبية... (2) وانطلق في نشر أقاصيصه منذ سنة 1974، وهو ميدان جديد في شكله ومضمونه لتجاوز ما لاحظته أحد المستعربين الفرنسيين منذ أوائل ستينات القرن العشرين ففي القصة (العربية المعاصرة) يشعر الأجنبي (الأوروبي الغربي) كأنه في بيته تقريبا. لأن هذا النوع من (من الأدب) قد استعير منه، وكذلك الأمثلة، وحتى

(1) جدي أحمد، ذاكرة الصمت، دار سحر للنشر، تونس، 2000، ص.ص. 59-61.

(2) المدني عز الدين، الأدب التجريبي، الشركة التونسية للتوزيع، 1972، ص. 21.

مرامي التحليل النفساني، ووصف البيئة والأهداف الاجتماعية". (3) ليمتهن أحد شخوصه "حب الوطن، دون تقصير وتقطير وحساب، حب الوطن إلى حد الفقر والمرض والهستيريا... - ماذا تعلمت من أمك في الصغر؟ - عندي عشة ومعيزات وين يطيح الليل انبات، الآن نسيته ولم أعد أغنيها لأنني لا أجد فيها معنى الوطن والحرية". (4) وعوض أغنية أمه بـ"بحبك يا وطني بحبك يا بلدي، بحبك يا أهلي على فقري ومرضي سأموت هنا". (5) وحصل على شهادة البكالوريا شعبة آداب عصرية (1968-1972).

ارتحل أحمد جدي إلى مدينة تونس ليواصل تعليمه العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية (1972-1976) في أشد فترات الحركة النضالية الشبابية اليسارية ضراوة ضد السلطة الحاكمة؛ والحلم بإرساء غد أفضل تسوده الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والحس الثوري الشبابي بآماله وأوهامه؛ وحصل منها على الأستاذية في التاريخ (1976). أما المرحلة الثالثة فكانت بجامعة نيس الفرنسية (1978-1987) حيث توجهها بشهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، (6) تحت إشراف المؤرخ أندري نوشي (André Nouchi)، يوم 30-3-1987 إثر وفاة أستاذه وموجهه البشير التليلي يوم 3 ديسمبر 1986 والذي قال عنه أستاذه وصديقه نوشي إثر وفاته "... كنا قد تواعدنا يوم الجمعة الأسبق على الالتقاء بعد أسبوع بمدينة تونس لمناقشة أطروحتيَ باحثين كانا يعملان تحت إشراف فرنسي - تونسي، هو وأنا". (7) ونزعم أن أحد هذين الباحثين (8) كان أحمد جدي الذي لا يكل، كلما كنت تقاسمه التجوال بشارع الحبيب بورقيبة بالعاصمة، من الوقوف أمام نزل أفريقيا ليقول لك : في أحد هذه الطوابق حددت جلسة مع أستاذي البشير التليلي

(3) نفس المرجع، ص. 37.

(4) جدي أحمد، ذاكرة الصمت، مرجع مذكور، ص.ص. 42-44.

(5) نفس المرجع، ص. 44.

(6) Jdey Ahmed, *La pensée sociale, politique et culturelle de Ben Dhiyf*, Université de Nice, Doctorat Histoire, 1987, 1020 pages.

(7) Nouchi André, *Mélange Tlili*, in *Les Cahiers De Tunisie*, N° 143-144, 1er et 2ème trimestres, 1988, p. 221.

(8) يبدو أن الباحثة الأخرى كانت علياء الأخوة التي ناقشت أطروحة بعنوان "تسج الحرير بمدينة تونس من 1850 إلى 1960" دكتوراه تاريخ، جامعة نيس 1987.

مسيرتي البحثية التاريخية حيث أرسلني إلى مدينة نيس وربطني بالأستاذ نوشي". وها هو ذات الأستاذ يقول "صنع أحمد جدي نفسه بنفسه، حسب قوة عمله"<sup>(9)</sup>. ثم يسحبك جدي إلى مطعم حاف لتقاسمه سمكا ويحاورك عن البحث والوجود وخلفيات العلاقات وآفاق المستقبل. يزواج دائما بين دقة المؤرخ وخيال الفنان وتجريد المفكر. يعشق مناقشة الأفكار ويستهن الغيبة.

عمل فقيدنا إثر تخرجه من كلية الآداب والعلوم الانسانية بتونس أستاذا للتاريخ والجغرافيا بعدة معاهد بين سنتي (1977 و 1991) وخاصة بمنزل تميم بالوطن القبلي التي ترك بها أثرا لا يمحي وعلاقات مثمرة لمسنا عمقها وتجلياتها من إحدى الشهادات<sup>(10)</sup>. ثم انتدب لتدريس التاريخ الحديث والمعاصر بالجامعة التونسية في شهر سبتمبر 1991 بعد صراع صامت مع بعض توجهات قسم التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية والانسانية بتونس، والصراعات المعتملة فيه منذ سبعينات القرن العشرين والتي تمظهرت خاصة في رسم حدود الفترتين الحديثة والمعاصرة؛ ولكن تتوارى خلفها أبعاد أصول طبقية وجهوية وإيديولوجية؛ وبالتالي هاجس تحديد "مناطق النفوذ" المادي والرمزي؛ وكان أحد أطرافها البشير التليلي ذاته الذي قال عنه المؤرخ الفقيد حسين رؤوف حمزة "... الذي ساند وقاحاتنا الأولى ... جرأتنا الأولى.. والذي علمنا قليلا من الضحك من كبار الأخبار والابتسام من غرورهم الأحمق وحكمتهم المزعومة."<sup>(11)</sup> ويضيف رؤوف "هل أكثر رفضا للامتنال من موقفه وسلوكيته كجامعي، مما جر له الكثير من البغضاء وجلب له بعض الإحراج...؟ إذ من البديهي أن طريقته في "الاقتحام" وإرادته في تفجير بعض الأقفال المراتبية، استهزاؤه الواخر، تنوقه للأكسيجين ورفضه للدافئين، المتشدقين أو المتحذلقين... لا يماشيان تماما مع بعض قواعد اللعبة الجامعية... وما كان بإمكانها عدم إثارة بعض الحساسيات، وبعض المصالح أو بعض العادات. وبالفعل، لقد حاول البشير التليلي بكل جهده إخراج الجامعة المتشبثة إلى حينها

9) Nouchi André, *Message à la famille d'Achmed Jdey*, le 22 juillet 2012.

10) شهادة الأستاذ عدنان بن فضل خلال إحياء ذكرى الفقيد أحمد جدي يوم 20 أكتوبر 2012 بالمركب الجامعي بمنوبة.

11) Hamza Hassine Raouf, «A la mémoire d'un ancien soixante-huitard», in *Les Cahiers De Tunisie*, N° 143-144, 1er et 2eme trimestres, 1988, p. 257.

بمراسمها وطقوسها من فضاءها المقطن ومن هرائها واكفهرارها، محاولا تعرية بعض العادات القديمة؛ كما رجّ نسبيا قواعد اللياقة والتبعية التي كانت تحكم الحياة والمسارات الجامعية وهزّ اطمئنان وتساهل أصحاب "الآراء الصائبة" بالاحتجاج على ادعائهم الدائم وأينما كانوا، أنهم ذوي حق أو أوصياء وأن ينسبوا لأنفسهم مجانيا، نوعا من السلطة المعنوية والفكرية.<sup>(12)</sup> وبالفعل كان البشير التليلي أحد عناصر جيل تواق إلى الأفضل وإلى البديل في الجامعة التونسية خلال تلك الفترة تماهيا مع تحولات جوهرية عرفها المجتمع التونسي في مختلف هياكله الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ونخبه الفكرية، وكانت كلية الآداب والعلوم الانسانية بتونس إحدى ساحات صراعاها ومن ضمن الفاعلين فيها توفيق بكار وصالح القرماضي. واتسم الصراع بين الشقين بنوع من الحدة والمماحكة؛ ما حدا بالتليلي إلى القول عن عوامل تأخر نشر بعض أعماله لا فائدة في إثارة هذه العوامل، وخاصة أنها هي ذاتها التي أجبرتنا منذ سنة 1980 على تأجيل نشر كتاب آخر عن البلاد التونسية بين سنتي 1934 و1943، رغم موافقة لجنة النشر بكلية الآداب والعلوم الانسانية بتونس. ذلك أن البعض يقدرون أننا ننتج كثيرا، وهذا يحرجه. ولكن ليتنبهوا. لن نستسلم، لأن العراقيين تريد في تحفزنا.<sup>(13)</sup> أما أحمد جدي فقد عبر عن هذه المرارة بطريقة أدبية لا تخلو من واقعية أنا مسافر إلى حريتي وعشقي وحياتي وفقري لست في حاجة لشهادة منكم سأترك لكم ولذويكم ولخلقكم ثرواتكم ولباسكم وأكلكم وتكنبيكم وتفشليمكم الفارغ وبعد أن تأكدت أن معركتي ليست معركتكم وزمني ليس زمنكم أكتب لكم من الذاكرة الصامتة ما يلي : 1- الأيام بيننا 2- المتغطي بمتاع الناس عريان 3- كل شاه من ساقها معلقة 4- ما يقعد في الواد كان حبره.<sup>(14)</sup> إلا أن أحمد جدي لم يكن أحسن من عصره، بل من أحسن من كانوا في عصرهم، بكل تعقداته وتناقضاته وتحالفاته وحتى تناحراته الفكرية والانسانية ونجاحاته وإحباطاته وآماله وآلامه.

12) Idem.

13) Tlili Béchir, *Nationalismes, Socialismes, et Syndicalisme dans le Maghreb des années (1919-1934)*, Tome premier : *Fondements et orientations des nationalismes et Tunisie et en Algérie 1919-1921*, Publications de l'Université de Tunis, 1984, p. 10.

14) الجدي أحمد، ذاكرة الصمت، مرجع مذكور، ص. ص. 25-26.

تتقل بين كلية الآداب والعلوم الانسانية بصفاقس (سبتمبر 1991-نوفمبر 1998) وبين نظيرتها بمدينة سوسة (نوفمبر 1998-جويلية 2010) ليصبح باحثا قارا بالمعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية بجامعة منوبة، بداية من شهر سبتمبر 2010 بعد صراع مرير مع سلطة الإشراف التي سدت الطريق أمامه رغم حقه في ذلك؛ وما يحتمه عليه وضعه الصحي من حظ للرحال. وبالتوازي مع ذلك كان عضوا في لجان التأهيل والدكتوراه بكليتي الآداب بتونس وسوسة، إلى أن ارتحل.

كان أحمد جدي غزير الانتاج حيث نشر أكثر من خمسين مقالا وعشرة كتب، وتميز بتنوع الاهتمامات وتعدد الاختصاصات؛ جمع بين التاريخ والرواية حيث كان قصاصا متميزا<sup>(15)</sup>. قال عنه أحد نقاد مجموعته القصصية "أوجاع الجبل الحالم": "وتخال الراوي ناقلا نقل المؤرخ مآثر الرجال والنساء في دشرة حيدرة [القرية الريفية] وغيرها وإذا بالخبر غير الخبر وشارة الوعي ردف منذ الصفحات الأولى، وإذا الكلام ألفاظ مأكرة منتظمة بالتضمين والإعجام عن طريق وضع الحركات على الحروف، [قال الراوي]: "ومنذ ذلك الخبر الحدث أو الحدث الخبر تغيرت علاقات "شهب" مع "المقدس" حَتَّى كَانَتْ نُمُوتُ مَرْتَاخٍ وَمَتَهْنِي وَخَلَّتْهَا عَامَرَةٌ". والراوي يبدو مترصدا رموز الكفاح التونسي الجزائري في الهامش بلغة المؤرخ مصطلحا ومنهج حجاج".<sup>(16)</sup> ويضيف الناقد قائلا "و ليس الحرص على ضبط اللفظ الدارج، بإعجابه، ولا اختيار الأسماء والدوران على مشتقاتها سوى شارات خطاب فني يحرر المجموعة من ربة الخبر والتاريخ فيشي بالإنشاء".<sup>(17)</sup> ويركز ناقد آخر على

(15) نشر الفقيه العديد من الأقاصيص في "مجلة الوسط" خاصة سنة 1974، وكذلك بين سنتي 1994 و1996؛ وقد ضمنها في ثلاث مجموعات قصصية :

- أوجاع الجبل الحالم، دار سحر للنشر، تونس، 1997.

- صراع، دار سحر للنشر، تونس، 1997.

- ذاكرة الصمت، دار سحر للنشر، تونس، 2000. 90 صفحة.

(16) خريف محمد، الهامش في "أوجاع الجبل الحالم" لأحمد جدي، في الصدى، 1997/6/3، ورد في : بوراوي عجيبة، أحمد جدي مؤرخ تونسي متخصص في حركات الإصلاح وكاتب قصصي مبدع، مرقون.

(17) نفس المرجع.

الخلفية التاريخية لقصص أحمد جدي في نفس المجموعة "جمعت هذه الأقصوصات الكثير عن ماضٍ ليس بالبعيد ببقاع الوسط الغربي من أخبار وآثار وناس، لقد انتزع الدكتور أحمد جدي أغلب مواضيع أقصوصاته من التاريخ الجهوي والوطني والقومي والعالمي فتتوَّعت مواضيعها بين الهجرة والقرية والاستعمار ... وهي مواضيع أرخت للجهة (الوسط الغربي) وتجاوزت بالضرورة واقع هذه الجهة. إنها في تقديري سيرة ذاتية بلغ بها الكاتب الشوط الأخير".<sup>(18)</sup> إنها علاقة لا تتفصم بين المؤرخ والرواية وبين الذاكرة والتاريخ، بين الذات والموضوع، بين المحلي والوطني والقومي؛ لقد انتفت في هذه المجموعة القصصية القطيعة بين التاريخ كعلم والأدب كفن. "وبالفعل فـ" إذا كانت الذاكرة نسيانا، فهي كذلك تذكر واستحضار للماضي، ليس بنزعة حنينية وحسب، بل وكذلك برؤية نقدية، ربما لتوضيح الحاضر واستيضاح المستقبل. ليست الذاكرة جمودا دنيّا أو كمالات مطلقا. فهي قابلة للاستغلال والاستهلاك من قبل الفاعلين الفني والتاريخي. ولكن التمايز بديهي بين الفاعلين فحدث الفنان ليس حدث المؤرخ، وزمن المؤرخ لا يشبه في شيء زمن الفنان الذي يتمتع بكلّ الحريات الممكنة في تصوّره للزمن، إذ بإمكانه المراوحة بين الحيني واللانهائي، بين الزائل والسرمدى، بين الحاضر والماضي وحتى المستقبل؛ ويتجه في صياغة أحداثه ترتيبا وتداخلا إلى أيّ منزع ينزع به خياله الخصب الذي هو شرط إبداعه. فواقعيته إذا أراد أن يكون كذلك، ليست سوى منطلق أو تعلق ليجر في فنونه وإمكانياته وطرق سرده وتركيبه وتهديمه وإعادة بنائه. أما المؤرخ فهو دون ذلك، إذ تهمه الحقيقة وإن كانت نسبية أو صورة من الواقع، إذ يكون دائم المسعى إلى الاقتراب منه وملامسته، وإن كان واعيا باستحالة بلوغه المطلق، لذلك فهو مرتبط بالوثيقة أولا وأساسا، دائم السعي إلى تدقيق التحقيق والتحقيب وتنظيمه، وبالتالي لا يملك الحرية إلا في تأويل الأحداث".<sup>(19)</sup>

(18) نجاحي محمد العزيز، قراءة في المجموعة القصصية "أوجاع الجبل الحالم" للدكتور أحمد جدي، في مرآة الوسط، مارس 1997، ص.ص. 26-29، و ردت في نفس المرجع.

(19) اللطيف علي، تصدير نص "جنّات" لرضا بوقديدة.

أما إذا جمع المرء بين المجالين شأن أحمد جدي، تبرز عندها توليفة خصبة بتعدد تركيباتها وتشابك علائقها، في وحدة تناقضية يسد الخيال فيها ثقب الوثيقة أو يربط جفافها؛ وتكبح فيها الوثيقة جموح الخيال ومنزعه الأسطوري وتشد أطرافه إلى الواقع ليستكشف ملامح صمته الصارخ، يقول أحمد جدي القصاص : " الصمت يتكلم، بالحجارة والخشب والفعل والوجدان والمسكوكات والرحى والطابونة والخيمة وجدليان والتفاح والحلفاء والماء والثلج والبرد والشعانيبي والأميرة أميذره التي تعيش في الولايات المتحدة وجنورها حيدرة التونسية... كنت أبحث عن كل ذلك لأنت زمني، ذاكرتي، وجداني، حياتي... لأرمم مرآتي، وأصقل فكري وأغذي إحساسي بانتمائي إليهم، إليهم، إليهم، أنا حفيدهم، غرسوا فأكلت وعلي أن أغرس ليأكلون".<sup>(20)</sup> كان أحمد جدي حقا، رحالة في المجال والفكر والأحاسيس؛ ولكنه كان كذلك ثابتا في أصوله ومرجعياته ومصادر استيحائه يسعى إلى نفض الغبار عنها والدفاع عن كينونتها وخصوصياتها؛ وفي ذلك تجسيد لمفهوم "الوعي التاريخي" كما صاغه منظرو الأدب التجريبي التونسي من حيث هو ووعي بامتداد الزمان واندماج في الواقع الحاضر كل الاندماج حتى يتكلم باسمه "واختراع المستقبل والشعور بالمسؤولية...<sup>(21)</sup> ويتجاوز بذلك المفهوم الهيجلي الذي قال "الواقع عقلائي والعقلانية واقع".<sup>(22)</sup> حيث أدرك إنسان القرن العشرين مدى تعقد الواقع وتناقضاته وتشابكاته، بل وحتى نزواته وانزلاقاته أو انحرافات وجوانبه الخفية...<sup>(23)</sup> ويقول جدي المؤرخ عن دراسته لقبيلته "الفراشيش" خلال القرن التاسع عشر : "يمثل هذا الواقع التاريخي للفراشيش نسيانا كبيرا لم تسعفه حتى الذاكرة الجماعية التي نحتتها معطيات دون أخرى وحددت ظروف على حساب ظروف، وتعدد مجالات تاريخ النسيان أو الصمت أو الذاكرة المشوشة أو المشوهة".<sup>(24)</sup> ويضيف "... وبذلك

(20) جدي أحمد، ذاكرة الصمت، ص. 19.

(21) المدني عز الدين، الأدب التجريبي، ص.ص. 25-26.

(22) نفس المرجع، ص. 38.

(23) نفس المرجع، ص.ص. 37-38.

(24) جدي أحمد، قبيلة الفراشيش في القرن التاسع عشر، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، 1996، ص. 7.



ينفتح هذا التاريخ على المسكوت عنه واللا مكتوب واللا مقول واللا مفكر فيه، فيشارف المؤرخ عندئذ المخيال والذهنيات عموماً وليحفر في الزمن والمجال والإنسان، لا بحثاً في الوقائع والتواريخ والتحقيب والمواقع وردود الفعل، بل رغبة في إبراز دلالات الزمن ومعنى الفعل الاجتماعي واتجاه التاريخ وجمالية الحياة ومساويتها بالنسبة للأفراد أو الجماعات. " (25)

يتراقد لدى أحمد جدي الأدب مع التاريخ والذات مع الموضوع والخاص مع العام رغم التنافر الظاهري؛ فينشأ ضرب من الكتابة الأدبية سمته: "الرواية التاريخية والأدب التاريخي والتاريخ الروائي ... يصبح هذا الصنف من الأدب رديفاً للتاريخ وإفرازا له، عجزت عن كنهه الأرشيفات الرسمية السائدة والجافة، والتي تختزل بطرق شتى، الواقع التاريخي للأفراد أو الظواهر الاجتماعية والثقافية السائدة في المغرب العربي المعاصر، كالهجرة والبطالة والفقر والكبت والعنف والوجع الجماعي." (26)

وجمع أحمد جدي بين التاريخ الاجتماعي والتاريخ الثقافي (27) وخاصة في كتابه حول أحمد بن أبي الضياف حيث تجاوز الترجمة التقليدية إلى محاوره أفكاره كنموذج لما كان يعيشه المفكرون العرب خلال القرن التاسع عشر من هواجس وما اقترحوه من حلول، وماهية الإعاقات التي تحكمت فيها حيث أن البحث المفتوح يتجاوز شخص ابن أبي الضياف ومؤلفاته وتونس الحديثة، لينخرط في ضمن حركة عامة تتمثل في علاقات النخبة العربية الحديثة بمجتمعها وعصرها وتاريخها وكيفية التعبير عن ذلك والحلول المقترحة أو المنتظرة لكثير من المسائل الفكرية والعلمية، لا فقط في التاريخ العربي الحديث بل كذلك نفس المسائل التي اخترقت العصر الحديث لتعيش معنا في واقعنا العربي المعاصر، وبذلك نلمس تاريخية الفكر العربي الحديث باعتباره

(25) نفس المرجع.

(26) جدي أحمد، محنة النهضة ولغز التاريخ في الفكر العربي الحديث والمعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص. 147.

(27) جدي أحمد، أحمد بن أبي الضياف، آثاره وتفكيره، محاولة في فهم التاريخ الثقافي، مؤسسة التميمي للنشر، تونس، زغوان، 1996.

طرح أسئلة لم يحسم فيها بعد نظريا وعمليا مثل مسألة الإصلاح والغرب والتقدم". (28)

جمع بين الماضي والحاضر (29) والاستشراف (30) بين التاريخ المحلي (31) والوطني (32) والتاريخ القومي العربي الاسلامي الحديث والمعاصر بتناقضاته ومفارقاته وكوابحه؛ (33) مبرزاً "حقيقة المفارقة التاريخية بين النهضة الأوروبية والنهضة العربية الاسلامية. فالأولى تحققت وأنجزت ونضجت وخرجت من رحمها الحداثة، وأصبحت المرجع الكوني لحضارة الإنسان. أما الثانية فلم تتحقق بعد، وهي بالتالي في حركة عسيرة بحثاً وتساؤلاً ومداً وجزراً على حساب مرحلة زمنية طويلة نسبياً مآلها الوحيد بلغة التاريخ أن العرب والمسلمين في العهدين الحديث والمعاصر لم يخرجوا من فلك الغرب بما هو صانع للنهضة والحداثة والاستعمار وما بعد الحداثة وما بعد الاستعمار، فالعلاقة التاريخية بين المجالين أو التاريخيين أو الحضارتين وإن اقتربا بالجغرافيا هي علاقة لا متكافئة عبر عنها الخطاب السياسي العربي بلغة

(28) نفس المرجع، ص. 10.

29) Jdey Ahmed, *L'enseignement de l'Histoire à l'Université tunisienne et le virtuel : quels enjeux et avenir ?*, in *La société du savoir et la recherche scientifique dans les pays arabes : Etat et perspectives*, Publications de la fondation Temimi, Tunis, septembre 2010, pp. 63-87.

30) Jdey Ahmed, (Direction), *La Tunisie du XXIème siècle : quels pouvoirs pour quels modèles de société ?*, Eurorient, N° 38, 2012, 277 pages.

(31) جدي أحمد،

- قبيلة الفرائش في القرن التاسع عشر، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، 1996. 208 صفحات.

- وثائق تنشر لأول مرة عن قبيلة ماجر في القرن التاسع عشر، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، 1998، 141 صفحة.

- قرى الوسط الغربي التونسي في القرن التاسع عشر، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، 2000، 128 صفحة.

32) Jdey Ahmed, Ahmed Ibn Abi Dhief, son œuvre et sa pensée. Essai d'histoire culturelle, Edition fondation Temimi pour la recherche scientifique et l'information, Zaghouan, 1995, 551 pages.

(33) جدي أحمد، محنة النهضة، مرجع مذكور....، 212 صفحة.

- جدي أحمد (بالاشتراك)، قراءات في الفكر العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006.

الصراع أو بالحوار أو الالتحاق بركب الحضارة." (34) ويلتقي في ذلك بوضوح مع المؤرخ عبد الله العروي الذي قال في نفس الإطار " والعالم العربي الاسلامي يواجه منذ زمن طويل المجتمع الأوروبي، كما أن الثقافة العربية الاسلامية تواجه الثقافة المسيحية. فلا بد لهذه الوضعية أن تترك آثارا عميقة في أعمال وأفكار العرب المسلمين. قد يتعجب المرء من تعلق العرب بهذه العادة أو هذا التعبير الكلامي أو هذا الرأي، إلا أن أهمية هذه المظاهر لا تأتي من قيمتها الذاتية وإنما من دورها التمييزي، وهذا واضح في اللباس والطبخ وآداب الأكل والأفراح ... إلخ. وهنا تكمن خصوصية الثقافة العربية إذا قارناها بالثقافة الهندية أو الصينية. إنها ثقافة تكونت في جو غلب عليه دائما منطق المواجهة مع أوروبا ... ولا تتوارى المواجهة الأولى - الإسلام ضد المسيحية - إلا لتظهر من جديد - العرب ضد الاستعمار الغربي - ... قد يقول البعض : جو المواجهة يمس الشكل فقط، أما المضمون فلا يتأثر إلا بعوامل ذاتية، غير أن البحث يكشف باستمرار أن الثقافة شكل أكثر مما هي مضمون." (35) وقد عبر أحمد جدي عن هذا الشكل من المواجهة الثقافية أدبيا كذلك، فاتسمت العديد من أقاصيصه بمنزعة إناسي جلي يسعى إلى تثبيت أو تخليد أسماء الرجال والنساء وأنواع الأطعمة والألبسة والأواني والخطاب والسلوكيات لمواجهة "رياح عاتية تهب علينا باستمرار، كالجراد لا تبقي حتى على الحجر فنغير دون وعي أكلنا، لباسنا، سكننا، تفكيرنا، سلوكنا ... حتى اللوبان والسواك والحنة والطفل وما أدراك لم تنتج من هذه الرياح ... جاءها كالفيضانات الشونينغام والسينيال والماكياج والشامبو ... زمننا ليس عاديا فيه أنواع عديدة من الساعات والكرونومتر، ساعة يدوية، ساعة حائطية، ساعة عمومية، ساعة ذهبية، ساعة إلكترونية. كلها لضبط زمن ليس من صنعنا، ليس لنا فيه موقع نحن محسوبون عليه، نتخيل أنه لنا ونحن له." (36) تؤسس هذه النظرة التبسيطية للزمن أو تتبع لـ/من نظرة تاريخية فلسفية لهذا المفهوم من حيث هو نتاج غربي بالأساس فقد تجاوز الغرب الاهتمام بالماضي والحاضر مركزا

(34) جدي أحمد، محنة النهضة... مرجع مذكور، ص. 11.

(35) العروي عبد الله، ثقافتنا في ضوء التاريخ، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، 1992، ص. 94 وما يليها.

(36) جدي أحمد، ذاكرة الصمت، مرجع مذكور، ص. ص. 24-25.

الجهود على المستقبل كبعد من أبعاد الزمن والحاضر في آن واحد والزمن بصفة أساسية، على اختلاف مواقعها في الفكر الغربي وعلاقاتها بمعطيات اجتماعية ومادية وثقافية وسياسية عديدة. ذلك أن الحديث عن الزمن الثقافي والزمن الاجتماعي والزمن الفيزيائي/الطبيعي والزمن السياسي والزمن التاريخي والزمن الفلسفي والزمن الاقتصادي والزمن الذاتي/الفردية أمر عادي في الفكر الغربي المعاصر، وليس حكراً على النخبة وأجهزة الدولة. إنها ثورة في/على مفهوم الزمن ارتبطت بالاقتصاد والعلوم والتقنية إلى حد الاهتمام - باستمرار - بالخيال العلمي في مجالات الابتعاات العامة (La science-fiction). فالزمن في الفكر الغربي وحضارته ثابت - متحول لأسباب وبمناهج مختلفة. هكذا يربط الفكر الغربي المعاصر ظاهرة الزمن بظواهر أخرى تتداخل وتختلف لكنها لا تنفي الزمن، إنها ظواهر الفضاء والسلطة والعلم والتكنولوجيا والإيديولوجيا والمفاهيم السياسية في العالم المعاصر.<sup>(37)</sup> وعلى النقيض من ذلك فـ"من الثابت أن التفكير المستقبلي في حضارة العرب وفكرهم وتاريخهم قد اتخذ أشكالا غير علمية تمثلت في قراءة الطالع والتنجيم والعرافة..."<sup>(38)</sup> واقتصرت نظرته للزمن على مفهومه المعجمي اللغوي. وهكذا يكون الحس الأدبي لدى أحمد جدي رافدا للهم التاريخي ومصبا له "واقع عربي ميزته الكبرى تاريخ معطل أو معطب أو غير مكتمل لم يعرف فيه العرب والمسلمون طعم الاستقلال الحقيقي، ومعنى الحرية الكامل، ولحظة التقدم التاريخي بعد الحروب والأزمات والنضالات والتضحيات وهدر الكثير من الطاقات المادية والبشرية والثقافية والرمزية والنفسية، وأهمها الزمن الذي إن فات فإنه لن يسترجع، وإن لم يفهم على حقيقته فإنه يكون سببا من أسباب "العمى التاريخي"، أو "العقم التاريخي" أو "المأزق التاريخي"، أو "الشناء التاريخي" للعرب والمسلمين منذ القرن السادس عشر وهم يبحثون ويجدون ويجهلون ويختلفون من أجل "ربيع العرب والمسلمين". هذا الربيع الذي لم يأت بعد حتى تتحقق فيه المعادلة، أي مصالح العرب المسلمين مع التاريخ ليكونوا فاعلين ومتفاعلين ولا منفعلين، ويكونوا فيه في الحركة الكونية علامة قائمة بارزة ندا لغيرها أي للفاعلين في هذا التاريخ مثل الغرب بتعبيراته

(37) جدي أحمد، محنة النهضة...، مرجع مذكور، ص. 161.

(38) نفس المرجع، ص. 166.

المختلفة ... ووضعا قادرا على التوازن أو الموازنة بين الأنا والآخر...<sup>(39)</sup> وتوازيا مع هذا الواقع ترسم ملامح الراهن الفكري العربي حيث لم يخرج بعد من تلفيقه السطحية بكل المعاني، والمتمثلة في محاولات الربط بين الغرب والشرق، أو بين حاضريهم وحاضر الغرب. فهو من هذه الجهة فكر يجمع نثاره من أزمنة فكرية متباينة ومن تجارب تاريخية مختلفة، وبذلك يجسد تخلفه إن في نخبه أو مجتمعه الذي لم يخترقه التقدم. فالفكر العربي الإصلاحى والنهضوي ليس فكرا حديثا بكل المقاييس لما أن وعيه بإشكالياته ممزق، ويعيش في واقع معوق إن قبل الاستعمار أو زمن الاستعمار أو في دولة الاستقلال، وهي دولة قطرية أساسا، بما في ذلك من محدودية وعلامات وهن في بنيتها وبرامجها في علاقاتها بالدولة القومية.<sup>(40)</sup> وفي هذا الإطار يطرح أحمد جدي إشكالية "الفكر العربي والمستقبل". انطلاقا من أعمال العديد من المفكرين العرب ليخلص إلى تساؤل جوهري ففي العصر الذي دخلت فيه حضارة الغرب وحداثته الثورة الرابعة (بعد الثورة الصناعية والثورة العلمية والثورة التقنية) أي عصر الإعلامية والآلية، كيف انخرط الفكر العربي في إشكاليات المستقبل التي تبقى مجالا هاما للبحث والتحليل والتساؤل؟<sup>(41)</sup> ليخلص إلى تحديد نظري لمفهوم الزمن من وجهة نظره " الزمن : كماض وكمستقبل مرورا بالوسيط المتفق على تحديده وقبوله واستبطانه وحتى عيشه : الحاضر المنعدم بالنسبة للمؤرخ والتاريخ. ففي المدى الطويل والتوجهات الثقيلة للزمن التاريخي حسب فرناند بروديل، هذا "الحاضر" يأتي من الأمس وينخرط في الغد، وبذلك لا تدرك الجدلية الانسانية إلا في هذه المعادلة ماض - مستقبل ولا ماض - حاضر.<sup>(42)</sup> لأن كان أحمد جدي يميل إلى نظرة فرناند بروديل حول أهمية الزمن الطويل وخاصة الزمن الاجتماعي على حساب الحاضر أو الزمن القصير، والهيكل على حساب الحدث؛ فإنه يتجاوز هذه النظرة إلى الاستشراف جاعلا منه الهاجس الأساسي للمؤرخ

(39) نفس المرجع، ص. ص. 11-12.

(40) نفس المرجع، ص. ص. 178-179.

(41) نفس المرجع، ص. 160.

(42) Jdey Ahmed, L'enseignement de l'Histoire dans l'université tunisienne et le virtuel..., op.cit., p. 65.

استنادا إلى الماضي حيث لا يمثل الحاضر سوى مخبر للملاحظة وطرح التساؤلات المحيلة على الجذور في رنو إلى المستقبل من أجل البناء انسجاما مع أصبح مطروحا على الفلسفة بداية من أواسط القرن التاسع عشر، ومن زاوية ما لم يقم الفلاسفة إلى الآن سوى بتفسير الواقع بينما المطروح تغييره. "أما الحاضر/الراهن، فلا معنى له في ذاته من وجهة نظر أحمد جدي المؤرخ، ولكنه يحوز كل المعنى من زاويته كأديب "واقعي اجتماعي" باستناده إلى الواقع المعيش والذاكرة الحية والنش في الظواهر الاجتماعية من حيث أن القص هو تتبع وتقصي وتجريب وبحث دون سقوط في "المذهب الطبيعي" على نمط إميل زولا في "الأدب التجريبي". فـ"التجريب الفني والأدبي هو دعوة ملحاحة إلى تبصير الكاتب بقضايا الثقافة والحضارة والفن تبصيرا كله رؤية ومعرفة جيدة بالأصول واطلاع واسع على العلوم الانسانية واتجاهات الفنون المعاصرة. وعي تاريخي للعصرالذي نعيش فيه... وغزو للمجهول لا اكتفاء بما هو موجود". (43) ولذلك كان أحمد جدي يميز في ذاته بين المؤرخ وبين الأديب رغم تسلسل أحد الضربين إلى حقل الآخر أحيانا؛ مما يعبر عن وحدة هذا التناقض المثمر بين هاتين الذاتين والمجالين المعرفيين.

يؤكد أحمد جدي أن الحاجة إلى الدراسات المستقبلية في الفكر العربي تشرعها الوضعية التاريخية للعرب في هذا القرن وموقعهم من الحضارة الانسانية ... ذلك أنه من الضروري التركيز على عناصر الحركة العامة في عالمنا المعاصر التي تفرض علينا عدم فصل أو انفصال العرب عن منطق التاريخ المعاصر، بهدف إدراك حقيقة وعمق الروابط بين العرب والغرب. فالمجتمع العربي - من هذه الزاوية - لا يخرج عن كونه منظومة في جدلية وصراع مستمرين مع نظام عالمي أوسع وأكثر تعقيدا وإماما بمتغيرات المستقبل... (44) ولذلك يعتبر أن أخطر مهمة يواجهها الفكر العربي المعاصر بكل فروعه ومناهجه وآلياته وبرامجه هي كيفية نقد المنظومات الغربية ودراسة التراث العربي الاسلامي لتحديد ملامح المستقبل وتأسيس أو إعادة بناء الشخصية التاريخية العربية ... لذا بات من الضروري نقد مناهج ونماذج

(43) المدني عز الدين، الأدب التجريبي، مرجع مذكور، ص. ص. 27-29.

(44) جدي أحمد، محنة النهضة، مرجع مذكور، ص. 174.

الدراسات المستقبلية الغربية التي تعنى بالعرب وتحديد قصورها وغاياتها. وفي هذا الإطار، وجب التأكيد على أن التكنولوجيا الجاهزة والمستوردة لا تغينا كثيرا في دراسة المستقبل العربي... إن الدراسات العربية المستقبلية مطالبة منهجيا وسياسيا ومعرفيا، بالاستناد إلى معرفة وثيقة بالحاضر والتاريخ العربيين، وقضاياهما ومشكلاتهما وبالتطور التاريخي الحضاري للوطن العربي في علاقاته الاقتصادية السياسية بالنظام العالمي السائد".<sup>(45)</sup> ومن أشد المجالات اهتماما من قبل أحمد جدي لنجاح هذا المشروع الفكري هو التملك بمقومات هذه الثورة الرابعة للعالم المتقدم والمتمثلة في الفضاء الافتراضي وتوظيفه لتطوير مستوى التعليم العالي والبحث العلمي وخاصة في مجال التاريخ حيث أن التعليم الافتراضي، التعلم الافتراضي والتكون الافتراضي يجب أن تتصور شأن الحقل الجامعي المستقبلي للبلاد التونسية بمختلف تخصصاته؛ لا يمكن للمعرفة إلا أن تمر عبر الوسائل الأكثر جنوى والأسرع، لا يمثل هذا إطلاقا تجاوزا للتعليم التقليدي. على الذين لهم راس المال المعرفي والعملية أي الجامعيون والطلبة، أن يكونوا أول المستهلكين للانترنت في أعمالهم ليجعلوا منها أحسن أدوات وشروط التقدم. لا يتأتى المستقبل من الوهمي أو الطوباوي، فهو في منطق الممكن والقابل للإنجاز شريطة تأمين كل الفرضيات العملية".<sup>(46)</sup> بين التاريخ الكلي والتاريخ الجزئي<sup>(47)</sup>، بين التاريخ الحداثي والتاريخ الإشكالي<sup>(48)</sup>. يزاوج بين نرجسية الإبداع الفردي وغيرية العمل الجماعي<sup>(49)</sup>.

(45) نفس المرجع، ص. ص. 174-175.

(46) Jdey Ahmed, *L'enseignement de l'Histoire dans l'université tunisienne et le virtuel...*, op.cit., pp. 86-87.

(47) جدي أحمد، الوثائق العائلية : التاريخ و الذاكرة، صفاقس في القرن 18، زغوان، مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، زغوان، 2003، 160 صفحة.

(48) Jdey Ahmed, "L'Etat ottoman et le monde tribal : Eléments de réflexion", in Arab Historical Review For Ottoman Studies, Publications de la fondation Temimi, Tunis, N° 41-42, pp. 105-114.

(49) Jdey Ahmed, Eléments pour une réflexion sur la recherche collective à l'ISHMN, Intervention du 16 mai 2012 dans le cadre de la journée d'étude «Autour d'un projet de charte du chercheur».

مهووس بإشعاع الانتاج التاريخي التونسي على المستويين الوطني والعربي والدولي تأليفاً (50) وتعريفاً (51)؛ وأثرى المكتبة التاريخية التونسية توثيقاً (52) حيث كان يسعى دائماً إلى التجميع البيبليوغرافي معتبراً "... إن مشهد كتابة التاريخ التونسي الحديث تغير حسب السنين والمناهج والمصادر والوثائق وأمام هذا الكم الهائل والدراسات المختلفة التي تظهر باستمرار في تونس وخارجها، أصبح من الضروري جمع هذا الشتات ووضع على نمة الطلبة والباحثين في تاريخ تونس الحديث ليلمس القارئ من العناوين مدى التحولات في كتابة هذا التاريخ من ناحية، وما هي الآفاق المفتوحة من ناحية ثانية". (53) وما نشره لآخر مؤلفاته في هذا الشأن بالمعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية خلال سنة 2011 إلا تجسيدا لذلك وتحقيقاً لحلم كان يراوده منذ سنة 2001؛ وتذكر مدى معاناته في سبيل إنجازهِ وإظهاره إلى النور لما يطلعك على فحوى المراسلات الرسمية مع ذوي النظر للمجادلة حول البعد الأكاديمي لمثل هذه الأعمال من عدمه.

وعلى العموم فإن أحمد جدي كان فيما يبدو المؤرخ التونسي المعاصر الوحيد - ويشبه في ذلك عبد الله العروي - الذي يمكن قارئه - بجمعه بين الكتابة الأدبية الموهلة أحياناً في الذاتية وبين الكتابة التاريخية الطامحة إلى نوع من الموضوعية - من ولوج عوالمه بمختلف أبعادها بعد النقاط مختلف زواياها، فالكتابة لدى جدي معاناة وألم ولكنها كذلك فرجة؛ كان الكاتب ينزف جرحاً وألماً ويطفح أملاً "ومتى كانت الكتابة لا تعني جرحاً أو عذاباً أو

(50) نشر أحمد جدي في عدد كبير من النشريات الأجنبية بفرنسا وتركيا ولبنان والمغرب الأقصى والولايات المتحدة الأمريكية.

(51) كانت لأحمد جدي عدة مساهمات في : *Dictionary Of African Biography*, Editions Oxford : University Press, Oxford, 2011. معروفاً بعدد من الشخصيات التاريخية التونسية في المجالين الفكري والنقابي..

(52) Jdey Ahmed,

- *L'histoire moderne et contemporaine de la Tunisie. Initiation bibliographique*, Editions Centre de Publication universitaire, Tunis, 2004, 400 pages.
- *La Tunisie moderne et contemporaine au miroir de l'Université française. Répertoire des thèses en sciences sociales et humaines (1893-2010)* Editions de l'institut supérieur de l'histoire du mouvement national, Tunis, 2011.

(53) جدي أحمد، تاريخ تونس الحديث والمعاصر ...، مرجع مذكور، ص. 17.



نزيف؟! ... أنا من الذين جرحوا أكثر من جرح بشهادة السماء والأرض، والحقيقة العارية أن جرحي لا معنى له إذا ما تذكرت جرح الأرض والتاريخ ... جرح الأرض لن تقدر على وصفه أجهزة الإعلام وشهادات التبريز والدكتوراه ولن تكتب عنه كل الأقلام ولو اجتمعت في قلم واحد ولن تفك رموزه وتظهر أبعاده رواية من الروايات ... جرحي، جرحنا، جرح الأرض كبير، هو نزيف لكنه النزيف الذي يحمل المنشود حتى إن عجزت الكتابة عن الإمام به. لم يكن الشيخ العايب في حالة طبيعية، فبعد البكاء، أخذ يغني ويبتسم وينادي لطفل من أطفال الحارة اسمه "واعد" ليسلمه زهرة<sup>(54)</sup>. كان أحمد جدي يؤمن بالغد أكثر من إيمانه باليوم بالمستقبل أكثر من الحاضر، ولذلك كان يؤمن بضرورة ومسؤولية المساهمة في بنائه من مختلف المواقع وبشتى الممكنات ومنها الكتابة؛ فقد قال أثناء مشاركته في الاحتفال بعشرية مجلة "الإتحاف": " "الاتحاف" أمل ومشروع ومسؤولية، أمل كل الذين يرغبون في الحياة بالكلمة النبيلة والثقافة السامية، مشروع يتطلب العمل المشترك على اختلاف الأعمار وتباين المواقع والمواقف والرؤى، مسؤولية التأسيس والبناء والاستمرارية من أجل غد أفضل وأرحب وأمتع وأتحف... غد نصنعه ولا ننتظره، غد نجد فيه أنفسنا ولا نشعر فيه بالاغتراب، غد لنا فيه قرار ولا تسلط علينا فيه القرارات." (55) وفي مستوى آخر يقول أحمد جدي " فالكتابة ليست بريئة وليست مستقلة عن مؤسسات أفرزتها وهي تعمل على الفعل فيها والتفاعل معها بأشكال عديدة ولغايات مختلفة، إذ المسألة كلها مسألة صراع سلطات ومواقع تبدو ثقافية وفكرية وفي عمقها حضارية اجتماعية تاريخية." (56)

كان أحمد جدي شمولي المعرفة بالمفهوم الجاحظي، محققاً تاريخياً بالمفهوم الخلدوني، مثقفاً عضوياً بالمفهوم الغرامشي، حفاراً معرفياً بالمفهوم الفوكولي، نقاباً توثيقياً بالمفهوم الوضعاني. وكان ينتفس قراءة وتفكيراً وكتابة وممن "ربطته الحياة بالكلمة والحرف والكتابة والقراءة والفعل الإبداعي

(54) جدي أحمد، ذاكرة الصمت، ص. ص. 49-50.

(55) جدي أحمد، بين "الإتحاف" الأصل و"الإتحاف" الفرع، أو النبتة التي لا تموت و الرحلة التي لا تنتهي، في مجلة "الإتحاف"، السنة 11، العدد 63، نوفمبر 1995، ص. ص. 93-94، ورد في : عجيبة بوراوي، أحمد جدي... مرجع مذكور.

(56) جدي أحمد، محنة النهضة، مرجع مذكور، ص. 139.

والثقافي. الكتابة تحرر وتحرير، والإبداع سمو بالإنسان إلى درجة الكمال والاكتمال واللا محدود... فما تبقى إلا الاستمرار على نفس الدرب بأسئلة الحياة، أسئلة الثقافة، أسئلة تونس، أسئلة الوطن العربي، أسئلة الانسانية. (57) وفي ذلك البناء الحقيقي حيث لم يكن "من أنصار سقف بيتي حديد ركن بيتي حجر، يخاف حقاً أن يصبح عقله وخلاياه وإحساسه وسلوكه من الحديد والآجر والإسمنت... يخاف أن يشرع في بناء قبر الحياة بالقروض والسلف و"شاشية هاذا على راس هاذا" وعديد الأمراض ويموت هو وأم الأولاد أو كل العائلة قبل أن يكتمل المنزل مشروع العمر، بعد الزوجة والأبناء والسيارة. (58) وارتحل أحمد جدي دون أن يملك منزلاً أو سيارة وفاء لوصية أمه لا تكن حجراً ولا تتحجر... ابن بأشياء أخرى غير الحجر والاسمنت والحديد والآجر... ابحث عن شكل جديد للسكن والحياة... تغيرنا كثيراً... بعدنا عن بعضنا كثيراً... تغربنا عن أنفسنا... إنسانيتنا جافة وباردة وساكنة... ليست آهلة... لعلها في أوكد الحاجة إلى حمام عربي. (59)

"سيدي أحمد"، لقد قصرت، أحسست في حضورك وأدركت في غيابك، فهل تداركت؟

(57) جدي أحمد، بين "الإحاف" الأصل... مرجع مذكور.

(58) جدي أحمد، ذاكرة الصمت، مرجع مذكور، ص. 30.

(59) نفس المصدر، ص. 61.